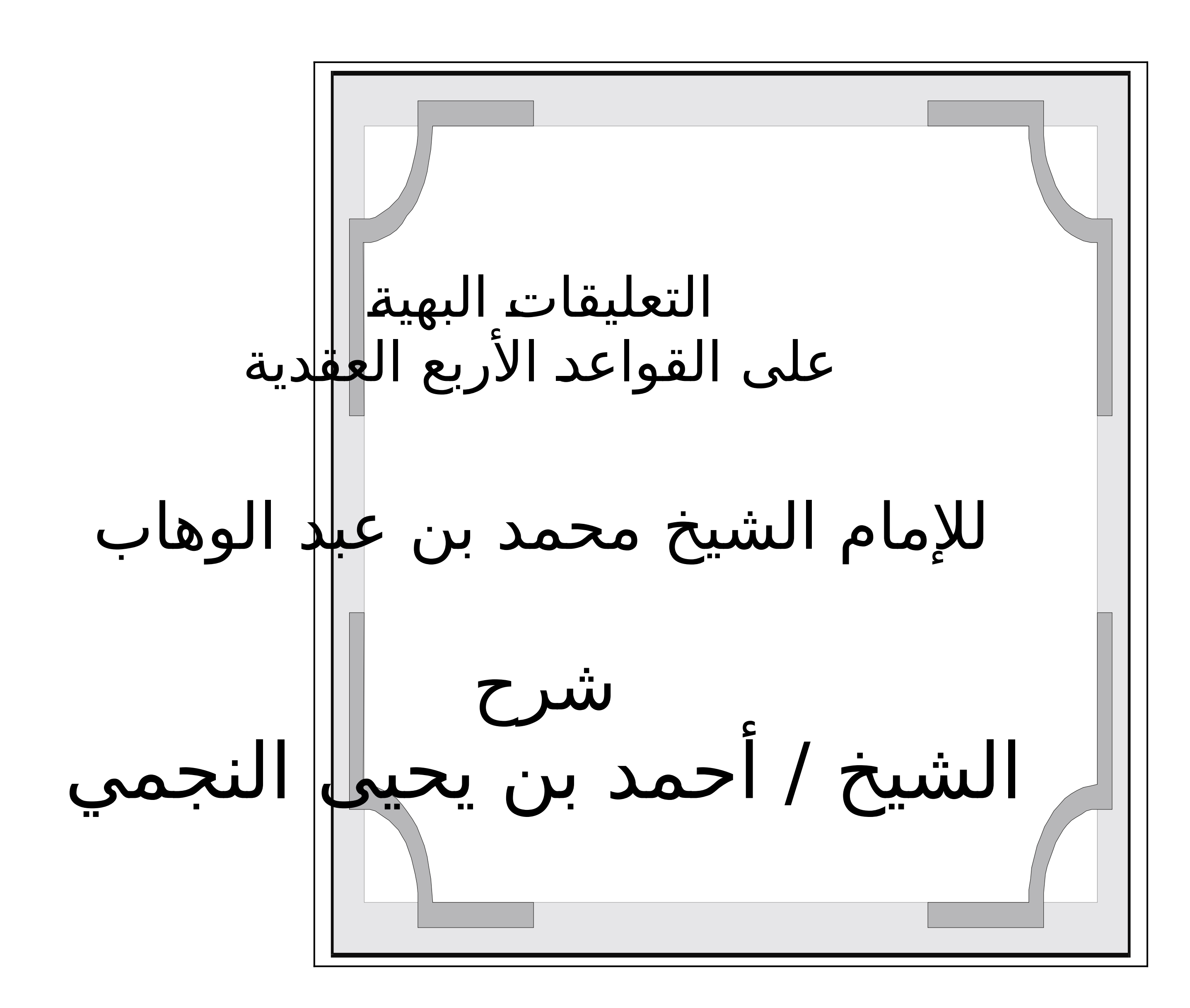


التعليقات البهية
على القواعد الأربع العقدية

للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب

شرح
الشيخ / أحمد بن يحيى النجمي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبـه وبعد :

فقد هيأ الله في القرن الثاني عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فقام بدعوة التوحيد في نجد ، وكتب الله لها النجاح بعد جهادٍ مرير وطويل فألف المؤلفات وجاهد المشركين حتى دخلوا في دين الله ، وعادوا إلى رحابه فوحدوه .

ومن ضمن مؤلفاته ، وأعظمها نفعاً ؛ الثلاثة الأصول ، وكتـاب التوحيد وكشف الشـبهات ، والقواعد الأربع ، والـتي هي مقصـود بحثنا الآن قـال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهـاب رحمه الله : (أسـأل الله الكـريم رب العرش العظيم أن يتولاك في الدنيا والآخرة وأن يجعلك مباركاً أينما كنت) يا لها من دعوة ما أعظمها فمن تولاه الله في الدنيا والآخـرة فقد فـاز ، ونجـا وحـــاز الـــدرجات العلا وأكرمه الله بالجنة الـــتي من دخلها يحيا فلا يموت ، ويَصِـحُّ فلا يسقم ويشب فلا يهرم إذا تـولاك الله في الـدنيا يسر لك العلم الصـحيح المـأخوذ من الكتـاب والسـنة ووفقك للعمل به ، وإذا تولاك في الآخرة صرف عنك العذاب ، ويسر لك أسباب السعادة ، فكـان الـبرزخ في حقك نعيمـاً ، وفـزت بالجنة بعد ذلك وإذا جعلك مباركـاً أينما كنت فقد حصل لك ما يتمناه الصالحون من الأعمال الصالحة الخالصة لله جل وعلا التي يترتب عليها الخير في المواطن الثلاثة في الدنيا ، والـبرزخ ، والآخرة ، وقد دعا لك أيضاً فقال :

(وأن يجعلك ممن إذا أعطي شكر ، وإذا ابتلي صـبر ، وإذا أذنب اسـتغفر فـإنَّ هـؤلاء الثلاث عنـوان السـعادة) أي عامَّتها ، فالله يجـزي الشـاكرين بالزيادة ، ويعطي الصابرين الأجر العظيم الذي لا يحصره حاصر ، ولا يعدُّه عـاد ، كما في الحـديث الصـحيح أنَّ النـبي قـال فيما يرويه عن ربه : { كل عمل ابن آدم يضـاعف الحسـنة بعشر أمثالها إلى سبعمـائة ضـعف إلى ما شـاء الله قال الله عز و جل : إلا الصـوم ، فإنه لي و أنا أجـزي به يـدع شهوته وطعامه من أجلي }[1] متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة .

قولـه : { وإذا أذنب استغفر } أي إذا وقع في الذنب بسبب بشريته التي يتعرض بها إلى ما يتعرض لـه البشر ، فيقع في المعاصي من حيث يشعر أو لا يشعر ، ولكنَّ الله تعالى وعد ، ووعده الحق ، أن يغفر لمن استغفر وأن يتوب على من تاب ، وفي الحديث القدسي : { قال الله تعالى : يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي ، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ...يا عبادي إنكم تخطئون بالليل و النهار و أنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم يا عبادي ...ـ}[2] رواه مسلمٌ من حديث أبي ذر .

وقد أخبر رحمه الله في نهاية هذا الدعاء بأنَّ هذه الثلاث الخصال هي عنوان السـعادة ثمَّ دخل في المقصود بقوله : (اعلم أرشدك الله لطاعته أنَّ الحنيفية ملة إبراهيم أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين كما قال

---

1 **(1) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الصوم باب هل يقال إنِّي صائم إذا شتم ، وفي كتاب اللباس باب ما يذكر في المسك وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى : يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّه وباب ذكر النبي وروايته عن ربه . وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الصيام باب فضل الصيام واللفظ له .**

2 **الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم .**

تعالى :
 وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (الذريات:56) .
فهذه هي العبادة التي تسمَّى عبادة ، والتي يحوز صاحبها الأجر الوفير والخير الكثير . أمَّا من خلَّط فعبد الله ، وعبد غيره فإنَّ عبادته لا تكون عبادة لله وفي الحديث الذي يرويه النبي عن ربه : { قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه }[1] رواه مسلم من حديث أبي هريرة .
ثمَّ استدل على ذلك بقول الله تعالى : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ وفي هذه الآية ما يفيد بأنَّ خلق الجن والإنس ما كان لشيءٍ سوى العبادة ، فالله خلق العباد ليعبدوه ، ووعدهم بالمغفرة والجنة إذا عبدوه كما في حديث معاذ بن جبل أنَّ النبي قال لـه : { يا معاذ أتدري ما حق الله على عباده ، وما حق العبـاد على الله ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا ، فقلت يا رسول الله : أفلا أبشر به الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا }[2] متفقٌ عليه .
وفي هذه الآية [3] دلالة على أنَّ المقصود بخلق الجن والإنس هو أن يبتليهم الله بالأوامر والنواهي ، ويبتليهم بأمور أخرى تعتبر صوارف عن طاعة الله سبحانه وتعالى ، فمن تأثر بالصوارف ، وترك العبادة كان من الخاسرين ، ومن اشتغل بالعبادة ، وأخذ من الدنيا ما يستعين به على مطلوبه كان من الناجين ، وبالله التوفيق .
ثمَّ قال : (فإذا عرفت أنَّ الله خلقك لعبادته فاعلم أنَّ العبادة لا تسمَّى عبادة إلاَّ مع التوحيد كما أنَّ الصلاة لا تسمَّى صلاة إلاَّ مع الطهارة ، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت كالحدث إذا دخل في الطهارة) .
وأقول : لقد مثَّل الشيخ رحمه الله بمثال حسي يعرف به المثال المعنوي فالشرك يبطل العبادة كما أنَّ الحدث يفسد الطهارة ، فمن أدخل في عبادته شركاً فقد أفسدها ، ولم تعد صالحةً للاستفادة منها كما أنَّ الحدث إذا دخل في الطهارة سواءً كان العبد قائماً في صلاته أو خارجاً عنها ، فإنَّ طهارته قد بطلت ولا يمكنه أن يستمر في صلاته إن كان يصلي أو يدخل فيها إن كان لا يصلي ، وإن فعل فإنَّه يعتبر مجنوناً فاسد العقل إذا أراد أنَّ العبادة تستقيم له مع وجود الشرك الأكـبر ، وكم

---

1 **الحديث أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمله غير الله .**
2 **الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب اسم الفرس والحمار واللفظ له ، وأخرجه في كتاب اللباس باب إرداف الرجل خلف الرجل ، وفي كتاب الاستئذان باب من أجاب بلبيك وسعديك وفي كتاب= =الرقاق باب من جاهد نفسه في طاعة الله ، وفي كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً .**
3 **أي قول الله تعالى : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .**

في آيات القرآن ما يدل على ذلك : قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ .... ﴾ (النساء: من الآية48) ، وقال الله على لسان عيسى بن مريم : ﴿ .. يَا بَنِي إِسْرائيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (المائدة: من الآية72) وقال الله لنبيه محمداً ﷺ : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر:65) ولمَّا ذكر الله الأنبياء في سورة الأنعام قال جلَّ من قائل : ﴿ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:88) ، ثمَّ قال : (فإذا عرفت أنَّ الشرك إذا خالط العبادة أفسدها وأحبط العمل ، وصار صاحبه من الخالدين في النار عرفت أنَّ أهمَّ ما عليك معرفة ذلك لعلَّ الله أن يخلصك من هذه الشبكة وهي الشرك بالله الذي قال الله تعالى فيه :﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَـنْ يَشَاءُ ﴾ (النساء: من الآية48) ، وذلك بمعرفة أربع قواعد ذكرها الله في كتـابه) .

ثمَّ قال : (**القاعدة الأولى** : أن تعلم أنَّ الكفار الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مُقرُّون بأنَّ الله هو الخالق الرازق المدبر ، وأنَّ ذلك لم يدخلهم في الإسلام والدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ (يونس:31)) .

وأقول : مقتضى هذه القاعدة أنَّ توحيد الربوبية لايدخل به أحد في الإسلام فمن أقرَّ بتوحيد الربوبية أقرَّ بأنَّ الله هو الخالق ، وهو الرازق وهو المدبر وهو المحيي والمميت الذي يُصِحُّ ويمرض ، والذي يغني ويفقر ، والذي يسعد ويشقي ، من أقـرَّ بهذا لا يدخله إقراره به في الإسلام ، لأنَّ المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم استباح دمائهم ، وغنم أموالهم ، وسبى نسائهم وأطفالهم كلهم كانوا يعتقدون أنَّ الله هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور ، فلم ينفعهم ذلك شيئاً لأنَّهم عبدوا مع الله غيره وكفروا برسالة محمدٍ ﷺ وأنكروا البعث وكفروا بالقرآن ، وأنكروه ، وزعموا أنَّه سحر أو كهانة ، فمن آمن بواحدة من هذه الأربع وكفر بثلاث أو آمن بثلاث وكفر بواحدة ، فإنَّه يعتبر كافراً حلال الدم والمال بعد أن تقام عليه الحجة ، فمن اعتقد ربوبية الله على كل شيء ، واعتقد رسالة محمدٍ ﷺ واعتقد البعث بعد الموت ولكنَّه استباح اتخاذ وسائط مع الله عز وجل يدعوهم من دون الله ، ويزعم أنَّهم شفعاء إلى الله ، فإنَّه في هذه الحالة لاتقبل منه صلاةٌ ، ولا صومٌ ، ولا زكاةٌ ، ولا حج ، ولا يقبل الله منه أيَّ عمل صالحٍ لقوله جلَّ وعلا : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ

وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر:65) وبالله التوفيق .

قوله : (**القاعدة الثانية** : أنَّهم يقولون ما دعوناهم ، وتوجهنا إليهم إلاَّ لطلب القربة والشفاعة ، فدليل القربة قوله تعالى : ﴿ ...وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾ (الزمر: من الآية3) ودليل الشفاعة قوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (يونس: من الآية18)

والشفاعة شفاعتان : -

1- شفاعةٌ منفية .

2- شفاعةٌ مثبتة .

فالشفاعة المنفية ما كانت تطلب من غير الله فيما لايقدر عليه إلاَّ الله والدليل قوله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خُلَّةٌ وَلا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (البقرة:254)

والشفاعة المثبتة : هي التي تطلب من الله ، والشافع مكرمٌ بالشفاعة والمشفوع لـه من رضي الله قوله وعمله بعد الإذن كما قال تعالى :﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (البقرة: من الآية255)) .

مقتضى هذه القاعدة أنَّ الذين عبدوا غير الله لم يعبدوهم على أنَّهم هم الذين خلقوا هذا الكون ، وهم الذين رزقوا من فيه ، وهم الذين أحيوا الأحياء وأماتوا الموتى ، ولا أنَّهم هم الذين ينـزلون الغيث من السماء أو أنَّهم هم الذين ينبتون النبات من الأرض كل ذلك ما كانوا يعتقدون أنَّهم يتصرفون فيه ، ولكن كان قولهم وحجتهم أنَّهم عبدوهم من أجل أن يشفعوا لهم عند الله حيث قالوا : ﴿ ... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ... ﴾ (الزمر: من الآية3) وحيث قالوا : ﴿ ...وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ... ﴾ (يونس: من الآية18) فما كان أحدٌ منهم يعتقد أنَّ تلك الآلهة تخلق أو ترزق أو تحيي أو تميت كل ذلك لم يكن ، وإذا كان الأمر كذلك فيجب أن نتيقن أن هؤلاء القوم الذين كانوا يعتقدون هذا الاعتقاد ، قاتلهم رسول الله ﷺ واستباح دمائهم ، وغنم أموالهم ، وسبى نسائهم وأطفالهم .

.

إذا علمنا ذلك علمنا أنَّ من كان في هذا الزمان يعبد غير الله ، ويزعم أنَّ فيه الولاية التي تجعله مقرباً إلى الله أكثر من غيره ، وأنَّ الله لايرد له شفاعة ولايرفض له طلباً من اعتقد ذلك فإنَّه يعتبر مشركاً شركاً أكبر مخرجاً من الملة .

علماً بأنَّ الشفاعة تنقسم إلى قسمين : -

1- شفاعةٌ منفية .
2- شفاعةٌ مثبتة .
فالشفاعة المنفية : هي التي تطلب من غير الله عز وجل استقلالاً،والشفاعة المثبتـة هي التي تطلب من الله ، وشروطها اثنان :-
1. أن تطلب من الله عز وجل دون سواه قال الله تعالى : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ (البقرة: من الآية255) .
2. أن يكون المشفوع فيه ممن أذن الله لـه في الشفاعة فيه بأن يكون موحداً قال لمَّا سأله أبو هريرة : { من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة ؟ قال رسول الله لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه أو نفسه }[1] رواه البخاري . وقد جاء في النصوص الشرعية أنَّ الله يعطي الشفعاء الشفاعة فيشفعهم في أقوامٍ قد صاروا حمماً ، فيخرجونهم من النار ، ثمَّ يدخلونهم الجنَّة ، ويضعونهم على نهر الحياة فينبتون فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل[2] . فلا ينبغي ، ولا يجوز أن تطلب الشفاعة من غير الله بل الذي ينبغي أن تطلب الشفاعـة من الله ، والله تعالى يقول : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ وجـاء في النصوص[3] أنَّ الله يخرج أقواماً بعد شفاعة الشافعين من النار لم يفعلوا خيراً يخرجهم بحثياتٍ ثلاث ومن أجل ذلك فينبغي أن تطلب الشفاعة من الله وحده ، وبالله التوفيق .

ثم قال : (**القاعدة الثالثـة** : أنَّ النبي ظهر على أناسٍ متفرقين في عباداتهم منهم من يعبد الملائكة ، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار ومنهم من يعبد الشمس والقمر وقاتلهم رسول الله ولم يفرق بينهم والدليل قوله تعالى : وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ (البقرة: من الآية193) ودليل الشمس والقمر قوله تعالى : وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (فصلت:37) ، ودليل الملائكة قوله تعالى : وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَاباً (آل عمران: من الآية80) ، ودليل

---

[1] **الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث .**

[2] **كما عند البخاري في كتاب الرقاق باب صفة الجنة والنار وكما عند مسلم في الحديث الطويل في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية من حديث أبي سعيدٍ الخدري .**

[3] **كما في الحديث الذي سبق تخريجه ، وكما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله بترقيم إحياء التراث 11514 من حديث أبي سعيد الخدري أيضاً بلفظ : { ... يقول الله شفعت الملائكة ، وشفع الأنبياء ، وشفع المؤمنون وبقي أرحم الراحمين قال فيقبض قبضة من النار أو قال قبضتين ناس لم يعملوا لله خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا حمما قال فيؤتى بهم إلى ماء يقال لـه ماء الحياة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبـة في حميل السيل ...} الحديث وأمَّا لفظ : { ثلاث حثيات } فقد ورد في أقوامٍ لم يدخلوا النار أصلاً كما في الحديث الوارد عند الإمام الترمذي وغيره من حديث أبي أمامةً الباهلي قال : قال رسول الله : { وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفا بلا حساب عليهم ولاعذاب مع كل ألف سبعون ألفا و ثلاث حثيـات من حثيات ربي } وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم 7111 . والله أعلم .**

الأنبياء قوله تعالى : وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلامُ الْغُيُوبِ (المائدة:116) ، ودليل الصالحين قوله تعالى : أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَه (الاسراء: من الآية57) ، ودليل الأشجار والأحجار قوله تعالى :

أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (النجم:19،20) .

وحديث أبي واقد الليثي قال : { خرجنا مع النبي إلى حنين ونحن حدثاء عهدٍ بكفر وللمشركين سدرةٌ يعكفون عندها ، وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرةٍ فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط }[1] الحديث .

وأقول : أن مقتضى هذه القاعدة أن كل ما دعي من دون الله من ملائكة وأنبياء وصالحين ، وأشجار ، وأحجار ، وغير ذلك كلها عاجزة عن أن تسعف عابديها بالمطلوب أو تنجيهم من المهروب ، والله سبحانه وتعالى قد أخبر أن كل مدعو من دونه لا يملك شيئاً وإن قل حيث يقول : وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (فاطر:13،14) ، وقال جل من قائل : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَه ... (الحج: من الآية73) ، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين عجز المدعوين من دون الله عز وجل ، وضعفهم ، وعدم قدرتهم على إعطاء من عبدهم شيئاً وإن قل ، ثم أنهم أيضاً عاجزون عن جلب النفع لأنفسهم فكيف بغيرهم .

إذاً فليس هناك ميزة لأحد دون أحد في هذا الباب ، وبهذا يعلم أنَّ من عبد الملائكة أو عبد الأنبياء كعيسى ، وعزير هو ومن عبد الأحجار والأشجار سواء كلهم مشركون بالله ، والمعبودات من دون الله كلها عاجزةٌ أن تنفع عابديها بشيء وإن قل وبالله التوفيق .

القاعدة الرابعة : (أنَّ مشركي زماننا أغلظ شركاً من الأولين ؛ لأنَّ الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة ، ومشركو زماننا شركهم دائمٌ في الرخاء والشدة ، والدليل قوله تعالى : فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا

---

[1] **الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الفتن باب ما جاء لتركبنَّ سنن من كان قبلكم ، وأخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند الأنصار برقم21390بترقيم إحياء التراث والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع 1 / 674 برقم الحديث 3601 المكتب الإسلامي وأشار إليه في المشكاة برقم 5408 وفي السنة 76 .**

اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ (العنكبوت:65) اهـ.

وأقول : إنَّ مشركي هذا الزمان زادوا على مشركي زمن النبي كثيرا بحيث أن الذين كانوا في زمن النبي كـانوا يشركـون في الرخـاء ، ويخلصون في الشـدة ويعتقدون أنَّ الشدة لا ينفع فيها إلا الله لم يبلغ بهم شركهم إلى أنَّ أولئك المدعوين يخلقون أو يرزقون أو يحيون ميتاً وإذا نظرت فيما هو مدون في هذا الزمـن من قبل المشركين فإنَّك ترى العجائب .

ولقد قرأت في كتاب يسمَّى (نَفَسُ الرحمن) أُتي به من اليمن قال فيه صاحبه إنَّ رجلاً ضاف عبد القادر الجيلاني ، وكان عبد القادر غائباً ، فأتى ملك الموت فقبض روح الضيف ، فقالت زوجة عبد القادر لقد أسأت إلى عبد القادر حيث قبضت روح ضيفه وهو في بيته ، وكان ملك الموت قد جمع أرواحاً فجعلها في زنبيل ، ثمَّ عرج بها إلى الله سبحانه وتعالى ، فلمَّا رجع عبد القادر أخبرته زوجته بالحادث ، فذهب ولحق ملك الموت وهو يحمل الأرواح في ذلك الزنبيل ، ثمَّ أنَّه ضرب زنبيل ملك الموت فسقط من يد ملك الموت ، فطارت الأرواح إلى أجسادها ، وعادوا كلهم أحياء . هذا الكلام قرأته في كتابٍ مطبوع قبل حـوالي أربعين سنة ، وما زلت أذكر اسمـه (نفس الرحمن) فانظر إلى هذه الرعونة !! وماذا بلغ إليه حال الخرافيين القبوريين الذين يعظمون أناساً حتى يجعلوهم آلهةً ، ويدَّعون ذلك بأخبارٍ مكذوبة كهذا الخبر .

وأذكر أنَّه جاء إلينا وجلس عندنا رجلان من الصومال أحدهما اسمه علي بن الشيخ عثمان زياد ، وهذا درسنا عليه في اللغة ، والآخر اسمه عبد الصمد ، وكمَّل دراسته في الجامعة الإسلامية فيما أذكر . قالا : قرأنا على رجلٍ في الحبشة في كتاب الزُّبَد لابن رسلان ، فلمَّا بلغنا إلى قوله :

والأولياء ذوُ كرامات   وما انتهوا لولدٍ من غير

فقال ذلك الرجل : بلى قد انتهوا ، فقالا له : كيف ذلك ؟ قال : إنَّ فلاناً الشيخ الصوفي كان معروفاً بالصلاح ، وكان عقيماً ، فسخر منه رجل يعرفه . فقال : إن فلاناً حصل له ولد فسماه باسمي ، وجمع أصحابه وذهب بهم إلى ذلك الشيـخ فلما جاءوا إلى الشيخ وجدوا أن للشيخ ولداً فنظروا إليه ، وعادوا مقتنعين بأن للشيخ ولداً وبعد أن ذهبوا ذُهِبَ بالولد .

فانظر أيضاً ما في هذه الرعونة ، وأنَّ فلاناً حصل له ولد ، وهو لم يكـن له ولد وإلى غير ذلك من الأخبار الباطلة ، والحكايات التي يوهمون فيها الناس بصدق ما يدَّعـون من القدرة لأوليائهم على ما لا يقدر عليه إلاَّ الله فنعوذ بالله من الضلال .

وبهذا تعرف مدى ما بلغ إليه الخرافيون القبوريون في هذا الزمن من المبالغة في الشرك الذي زادوا به على شرك أبي جهلٍ وأبي لهب ، وأمثالهم من مشركي العرب الذين قاتلهم رسول الله فاستباح دمائهم ، وغنم أموالهم وسبى نسائهم وأولادهم ، ومع ذلك فإنَّ كثيراً من الناس بل ممن يدَّعون العلم لم يخرجوهم من الإسلام ، ولم يحكموا عليهم بالكفر مع أنَّ الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (الزمر:65) ، فالشرك الأكبر يهدم الإسلام ويبطله كما يبطل الحدث طهارة المتطهر ، وبالله التوفيق وصلى الله وسلم على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه ، والحمد لله رب العالمين .

انتهى من إملائه الشيخ
أحمد بن يحيى النَّجمي
في 10 / 3 / 1423 هـ